المحاضرة الثانية: مفهوم الرابط الاجتماعي عند علماء الاجتماع

في غياب تعريفات دقيقة لمفهوم الرابط الاجتماعي سنحاول توضيح معانيه بحسب السياق المعرفي الذي صاغه كل عالم من علماء الاجتماع، فالرابط الاجتماعي من المواضيع المركزية في صلب التحليل السوسيولوجي، حيث لا تكاد تجد مفكرا أو عالما اجتماعيا الا وقد تعرض لهذا الموضوع كاطار مرجعي.

ظهر هذا المصطلح في القرن 19 على يد مجموعة من علماء الاجتماع، وربما كل علماء الاجتماع تطرقوا لهذا المفهوم وقد تمتد جذوره إلى ما قبل القرن التاسع عشر، ولكن ليس بنفس الاسم، إلا أن المضمون واحد، فهناك من تطرق إليه من خلال العصبية، والروابط القبلية، كابن خلدون والعلاقات الاجتماعية أو التفاعل الاجتماعي، مثل ماكس فيبر، ومنهم من تحدث عنه من خلال تقسيم العمل والتضامن الاجتماعي، مثل دوركايم، والإرادة الاجتماعية و المجتمع المحلي والعام لدى تونيز، وكذلك من خلال الطبقات الاجتماعية عند ماركس، والعقد الاجتماعي عند هوبز ولوك، وكذا علماء الأنتروبولوجيا الإجتماعية مثل ميرودوك وغيرهم، عندما درسوا المجتمعات البدائية والعلاقات القرابية والأسرة، تعرضوا كلهم لمفهوم الرابط الاجتماعي.

في معجم علم الاجتماع، نجد أن الرابط الاجتماعي هو العلاقة التي تربط أفراد المجتمع وتُشكل منطقه وفلسفته، كما تختلف طبيعته من مجتمع لآخر وقد كانت هذه العلاقة محل اختلاف الفلاسفة والمدارس الفكرية والأنساق الأيديولوجية، من حيث

تكييفها في الواقع وتصورها كما تختلف من مجتمع لآخر، حسب رسالة كل أمة ومنهج كل كتاب وطبيعة القوم ومحيطهم الحضاري[1].

1_ فردناند تونيز علم اجتماع ألماني ferdinand tonnies(1855_1936):

ينطلق في كتابه "**الجماعة والمجتمع**" « **Communautè et Societè** » (1887)، من مقاربة سيكولوجية، إذ يرى أن الارادة "volonte " تسمح للفرد بالإنتقال من حالة تجمع إنساني معين الى حالة أخرى، وباختلاف نوع هذه الارادة التي يتبناها يختلف نوع التجمع الناتج بعد ذلك. لذا يقسم الارادة إلى نوعين وكل نوع ينتج شكلا معين من التواجد الإنساني:[2]

1-الارادة العضوية: Organique وهي أساسية تتعلق بحرية التصرف، ميزتها التلقائية والاصالة تنتج حالة "الجماعاتية" communautair أو شكل "الجماعة"communautè وهو التنظيم الذي يطبع الأفراد الدين يعيشون ضمن المجموعة الاولية، ميزتهم التعلق الداخلي والعاطفة الشديدة نحو : العائلة التي ينتمون لها (رابط الدم) من جهة، ونحو بلدتهم ومن يسكنها (رابط المكان) من جهة أخرى، ونحو الممارسات التقليدية والدينية التي تمارس فيها (رابط الروح) من جهة أخرى أيضا. ويقوم هذا الشكل على الاخلاق التي تعمل على تلاحم أجزائه وتوحيدها والانسجام بينها، وهو رابط قوي ودائم، يتموقع خارج الافراد، فالشعور بالانتماء يتجاوز الشعور بالاختلاف ، والمصلحة العامة تتجاوز المصلحة الخاصة، ك"المجتمع الاقطاعي" الذي ينتمي فيه الفرد من ميلاده إلى نظام محدد وبشكل دائم، وهو كل

[1] .عدنان أبو مصلح،علم الاجتماع،دار أسامة المشرق الثقافي،عمان الأردن،2006،ط1،ص261.

[2] ياسين نشاط: الرابط الاجتماعي وسؤال كورونا.-https://www.b-sociology.com/2020/05/blog-post_3.html

"المجتمعات التقليدية"، كما يتميز هذا الشكل بالالفة والثبات ووضوح الادوار مع عدم تصارعها (Daniel bigllon s.d.)

2_الارادة المفكرة: rèflèchie تتعلق بالاختبار الذاتي، والقرار والحكم. وتنتج عنها حالة "المجتمعية" أو شكل المجتمع، الذي يقوم على التفكير الانساني وبما أن التفكير مختلف بين الافراد فهم يدخلون في تنافس فيما بينهم اقتصاديا واجتماعيا، بالرابط يقوم على المصلحة الفردية، ويجعل من الرابط شكليا ومصطنعا. وما يطبع هذا الشكل زيادة المؤسسات التجارية التي تفعل عملية البحث عن الربح الفردي. يقوم الرابط المجتمعي على تجاوز المستوى الشخصي للعلاقات الفردية الخاصة ويستند على العقلانية والحساب، فكل واحد يبحث عن إرضاء نفسه. فالافراد أجانب عن بعضهم ومنفصلون مما يزاد أكثر في النزعة الفردانية التي تهيمن على العلاقات.

هكذا فالرابط المجتمعي يتميز بالتعاقدية والعلاقات الغير الشخصية والنفعية بين الافراد، والعقلانية وسيطرة المصلحة الفردية، والخاصة.

2.الرابط الاجتماعي عند إميل دوركايمEmile Durkheim

دوركايم له منطق خاص به في تناول الرابط الذي ينبع من طرحه لسؤال حول تطور المجتمعات وانتقالها من حالة لأخرى وكذا عن علة بقاء المجتمع المعاصر واستمرار علاقاته الاجتماعية، بالرغم من التزايد المذهل للفردانية فيه. مما يدفعنا لنطرح سؤال رفقة دوركايم ما الذي يجعل الأفراد يحافظون على الرابط الاجتماعي ويترابطون فيما بينهم؟

فتماسك المجتمعات عنده يرتبط بالأخلاق، وكما يعرفها هذا الرائد أنها " كل ما هو منبع للتضامن، وكل ما يرغم الإنسان على تنظيم حركاته وفق شيء آخر عن اندفاعاته النابعة من أنانيته "، فالرابط الاجتماعي عند دوركايم، أخلاقي أولا إلا أن

أنماط الأخلاق مختلفة من مجتمع لآخر، ويفرق هنا صاحب نظرية " تقسيم العمل الاجتماعي " المجتمعات لنوعين، كل نوع له نمطه الخاص من التضامن، أي حالة معينة من الرابط الاجتماعي.

فالنوع الأول هو المجتمعات التقليدية، يحكمه التضامن الآلي الذي يقوم على التشابه بين الأفراد على مختلف المستويات الذهنية والنفسية والاجتماعية وحتى الجسدية مما يولد شعورا مشتركا بينهم تحكمه رابط العاطفة والتعلق بالآخرين، وهو ما يصطلح عليه الضمير الجمعي، فتضامن الأفراد يقوم على تشابههم وعلى شدة هذا الضمير الجمعي الموحد لهم وكذا قوة القيم والمعايير، وكذا العادات والتقاليد النابعة عنه مما يجعل القانون القمعي يسود عند مخالفة هذه القواعد الاجتماعية، إذن فالرابط الاجتماعي يحكمه الضمير الجمعي، والشعور الداخلي والعاطفي الذي يدفع للتعاون والتضامن مع الآخر.

أما النوع الثاني هو المجتمع الحديث أو الصناعي، يحكمه التضامن العضوي والذي يقوم على اختلاف أفراده وتخصص كل واحد منهم في عمل أو مهنة محددة، مما يدفعهم للدخول في علاقة تكاملية ضرورية لا يمكن فيها للأفراد الاستغناء عن بعضهم البعض، كما تحكمهم رابط المصلحة والحاجة. فتضامن الأفراد ناتج عن " تقسيم العمل الاجتماعي للعمل " وهذا تسيره المصلحة الفردية ضمن المصلحة الجماعية، وهنا سيادة القانون المدني المبني على التعويض والتوجيه بدل القمع. فالرابط الاجتماعي يولده تقسيم العمل الاجتماعي والحاجة الخارجية للآخر، كما أنه وفي ظل تزايد الفردانية يزداد الرابط الاجتماعي قوة.

فإذا كان الضمير الجمعي أخلاق وقيم للمجتمع التقليدي، فتقسيم العمل الاجتماعي أخلاق للمجتمع الحديث، وأن التحول والتطور والانتقال من الحالة الأولى للحالة الثانية، وبالتالي من الرابط ذي التضامن الآلي إلى الرابط ذي التضامن العضوي، هو نتيجة الزيادة العمرانية والسكانية من جهة والكثافة المادية للمجتمع من جهة أخرى. إلا أن أزمة الرابط الاجتماعي عند دوركايم لا تنتج من انتقال المجتمع من مرحلة لأخرى، بل تكمن أزمته في حالة اللامعيارية المنتابة لمراحل من حياة المجتمعات (الأزمات)، أو تقوم بالمس بجماعات أو مؤسسات معينة داخل المجتمع (العائلة، المؤسسة الدينية، المدرسة،...) إلا أن الرابط الاجتماعي موجود بأشكال تختلف ضمن تصور تطوري. فالأنوميا باعتبارها خللا وظيفيا ناتجا عن تضامن عضوي ناقص، تظهر عندما يعجز المجتمع عن توفير إطار مستقر ومنتظم ومنسجم لتقسيم العمل وتحديدا أدوار كل واحد داخل النظام والمعايير المحددة لهذه الأدوار) خواجة عبد العزيز بن محمد (40-39-38 ,2018

.

ختاما

الرابط الاجتماعي هو مفهوم جديد قيد الدراسة والتحليل السوسيولوجي، في حين أن ليس له تعريف موحد و جامع نظرا لتعدد المواضيع الاجتماعية واختلافها، لكن من خلال قرائتنا لبعض النظريات السوسيولوجية نجد أنها تشترك في محاولة إعطاء معنى للرابط الاجتماعي ،حيث هو مجموع العلاقات الهادفة التي تجمع الافراد فيما بينهم بغية تحقيق التضامن وتعزيز القيم الاجتماعية. وهذه العلاقات يمكن أن نلمسها من خلال مجموعة من المستويات والأبعاد، حيث تتمظهر هذه الأبعاد فيما هو سياسي واقتصادي وثقافي اجتماعي,